

طبول الغابة

إذا أنت لم تنفـس فـضـر فـايـمـا
برجى الفتى كيـما يـضـر وينفـعـا
ومن هؤلاء أيضاً زمرة أجادت التأنيق وبرعت فيه
فلا يسير الفرد منها إلا وقد تعطر وألتي على كتفيه العبادة
المزركشة وأمال العقال وشبك السبحة في أصابعه ، فلا
يلتفت إن سار ولا يسير إن وقف !! لا ينظر إلا شراً
ولا يحيي إلا نزراً .
وهذه الفئة كقطيع السوام لا ينفعها إلا الصمت
ويحسن معها المثل القائل : إن « السكوت من ذهب »
ولكن لو شاء الظرف السيئ أن تتكلم فلن يكون كلامها
من فضة كما قيل وإنما سيكون من تبن الماشية وخشاش
الأرض وجل وجه القارىء الكريم .
ثم هناك فوارس العصر وهم جملة من الذين أنعم الله
عليهم فاشترى السيارات الفارهة وقدر لهم بعض من
الذكاء فتمكنوا من قيادتها تراهم يسرون في الشوارع
يسابقون الطير كأنهم هم الذين اخترعوها وركبوا آلاتها
لا ينظرون إلى من حولهم من عباد الله المشاة ولا يحاولون
تدراك أرواح البشر وقد يحلو لبعضهم أن يداعب المارة
فيصفر الصفير المزعج أو يضايقهم على الرصيف ، وقد
يسر بعضهم من إظهار تفوقه في القيادة فيسحق تحت
العجلة بعض الرءوس الآدمية ثمناً لهذه اللعبة البارعة .
ولوسألت هؤلاء المنعمين المترفين عما تضمه سياراتهم
من آلات وطلبت إليهم شرح ذلك لوقفوا مذهولين !
لأنهم لا يعلمون ما وراء العجلة شيئاً ولو وقفت بهم
مطايهم في منقطع ناء لعزت عليهم الحياة ، فهم طبول
الغابة تظل من النوافذ في عرائس المركبات وهم من التي
عناها الشاعر بقوله :

على وجه سلى مسحة من ملاحه

وتحت الثياب الشين لو كان بادياً

فاذا سمعت ياصاحى جمعجة ولم تر طحناً فاعلم أنها
صادرة من مصانع طبول الغابة ودفافها ، وإذا هزك
جبل يتمخض ثم ولد فأراً فاعلم بأن القابلة كانت طبلًا .

عبد الله أحمد مسين

مدرسة النجاح

جاء في أمثلة الأقدمين أن ثعلباً جائعاً كان يسير في الغابة
باحثاً عن طعامه ولجأة سمع صوتاً ضخماً تردد صداه
في أنحائها فأسرع إليه وإذا به طبل معلق في شجرة وكلما
حرك الهواء أغصانها ضربت الطبل فكانت تحدث ذلك
الصوت الرهيب .

وسر الثعلب بهذا الصيد الثمين وأيقن أنه مكتنز لحماً
وشحاً وسرعان ما أنشب فيه أظافره وأزال أديمه ولما أطل
فيه وجده أجوف خالياً فقال في نفسه : « أكل هذا
الصوت لهذا الأديم الحقيقير » ثم لوى ذنبه وعاد أدراجـه
تحدوه الحية وتسير بين أربعة الندامة .

واليوم نرى المثل يتكرر ونشاهد طبولاً تملأ محيطنا
الضيق بإبراقها وأرعادها . وعند كشف حقيقتها لا تكون
شيئاً ، وفي هذه الأيام ولظروف غامضة تنجلي هذه
الحقيقة للأذهان بصورة واضحة بين الشباب بصفة خاصة .
فبين هؤلاء الشباب فئة تفرض نفسها على الجمهور
فرضا خاطبة ومتحدثة ومجادلة ولا تدع الوقت يمر دون
أن تعرض لكفاءاتها بالمدح والإشادة إن تصرّحاً وإن
تليحاً ، وإذا جلست في مجلس أخذت بناصيته واحتكرت
الكلام فيه فما تدع فرصة لتحدث وما تترك مجالاً لمناقش ؛
هذا إذا كان الكلام سطحياً عاماً لا يتركز في فن أو علم
فإن انحرف التيار إلى الاعماق وعطف ناحية الثقافة الحقـة
والعلم المجرد تغيرت وجوه المتكلمين الأماجد ولووا
أعناقهم وحاولوا جهد استطاعتهم صرف الموضوع عن
رجيته ، أو عملوا على إنهاء جلستهم وفي هذا ما يكفي
شهادة على ما يتمتع به هؤلاء العداء الفطاحل من علم وثقافة .
ومن هؤلاء الشبان جماعة يجب أن تسمى « هدامة
المشاريع ومقوضة الأنظمة » ، وتلك التي لا تكنتي بجملها
وإظهار الغرور لتغطيته وإنما تصر على أن يكون لها
الكأس المعلى في كل أمر عام فيه جمهور وفيه ضجة وفيه
مظاهر استعراض فلا تلبث بجملها وقلة إدراكها أن تحول
النظام إلى فوضى والخير إلى شر وقد علمت أنها لا تعرف
عن طريق الخير فأرادت أن تعرف عن طريق الشر
متوخية في حياتها قول الشاعر :